فكاهات

جزآء الخيانة [1]

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة لها يقال الحَضَر وكان فيها ملك من الجرامقة يقال لهُ الساطرون وتسميهِ العرب الضيزن وكان قد ملك الجزيرة وكثر جندهُ واصبح معهُ من قبائل قضاعة ما لا يحصى عددهُ وامتدّ ملكهُ حتى بلغ الشأم

واتفق مرةً ان الملك سابور ملك الفرس كان متغيباً في غزوة لهُ بنواحي خراسان فزين الطمع للضيزن ان يزحف على بلادهِ فركب في جيش كثيف ودخل بلادهُ فقتل وغنم واسر اختاً لسابور وفتح مدينة نهر شير وفتك باهلها ثم عاد ظافرًا مسرورًا بما اصاب من الغنائم

ولم يكن للضيزن من الاولاد سوى بنت بارعة الجمال تدعى النضيرة فكان يعزها اعزازًا شديدًا ويحرص عليها حرصهُ على روحهِ ويبذل كل ما في طوقهِ لراحتها ورفاهيتها . فنشبت الفتاة داخل حجابها على السذاجة والدلال تتارك الطبيعة في بهجتها والطيور في تغريدها ولا تعرف من الدنيا سوى اتقان زينتها ووجوب الطاعة لابيها والامتثال لاوامرهِ

وكان فؤاد الملك يخفق شوقًا وحنانًا كلما اقترب من مدينتهِ وتمثل قرب اجتماعهِ بفلذة كبدهِ وحشاشة نفسهِ التي لم يشغلهُ عن ذكراها نصر ولا مغنم ولما دنا من سور المدينة امر بان تقرع الطبول تبشيرًا بعودتهِ وللحال خرج الناس زرافات لملاقاتهِ وعلائم السرور بادية على وجوههم ولم تقع اعينهم على موكب الملك حتى انطلقت منهم اصوات الترحيب بقدومهِ والدعآء بدوام نصرتهِ

---

(١) رواية تاريخية عربية الاصل بقلم السيدة لبيبة هاشم　يا زحمي

وسمعت الفتاة اصوات الطبول وهتاف الجماهير وكان القصر الذي جعلهُ الملك لسكناها مع باقي نسآئهِ خارج المدينة قريباً من باب السور الكبير فعلمت برجوع والدها فاستفزَّها الفرح لمشاهدتهِ واسرعت الى بعض شرفات القصر فرأتهُ قادماً في طليعة جيشهِ كأَنهُ القمر في سمآئهِ فطفح قلبها سروراً وبدرت من عينيها دمعتان كالدر النضيد . ثم انحدرت لملاقاتهِ عند باب القصر وتبعتها نسآء البلاط وسائر الخادمات وقدعلت بينهنّ اصوات الزجل وهتاف السرور ولم يكن الا القليل حتى اقبل والدها فألقت بنفسها على صدرهِ وتعانقا طويلاً

* * *

ومضى على ذلك ايام كان فيها ملك الحضر وقومهُ متمتعين بلذة النصر مترنحين بخمرة الفوز لا يحسب احد منهم ما للدهر من الغدرات وما لغدرهِ من الحسرات

ولما كان بعض الايام هب الناس من رقادهم مذعورين اذ سمعوا ضوضآء الجنود وصهيل الخيول وقعقعة السلاح حول سور مدينتهم فهرعوا الى الاسواق يتسآءلون عن الخبر وقد عمّ الخوف في المدينة واستطار الرعب في القلوب . وذلك ان سابور بعد ان عاد من خراسان وأخبر بما كان من الضيزن هاج وماج وبلغ الحنق منهُ مبلغهُ فجمع جيشهُ وشخص اليهِ حتى اناخ على حصنهِ

وكان من عادة النضيرة ان تحضر اليها وصائفها كل صباح فيصلحنَ من شأنها ويعاونّها على اتمام زينتها ولكنها في ذلك اليوم لم ترَ احداً منهنّ فنادتهنّ واحدةً بعد اخرى فلم يكن من يجيب واخيراً اطلّت من خدرها فرأت نسآء البلاط جميعاً يتراكضنَ مذعورات نحو الباب ودلائل الخوف والارتعاد باديةٌ على وجوههنّ . فارتاعت لهذا المشهد وسارت في اثرهنّ تستطلع الخبر وهي ذاهلةٌ عن حالتها فلم يكن ما يستر جسدها سوى ردآءٍ من النسيج الرقيق اشبه بسحابة صيف تغشى سنى القمر وشعرها الحالك الناعم المنسدل على كتفيها يمثل قتام الطبيعة وعبوسها

ولم تتوسط باحة القصر حتى سمعت الضوضآء في الخارج فأسرعت الى الشرفة التي ابصرت منها اباها مقبلاً منذ امدٍ غير بعيد تخفق فوق رأسهِ رايات النصر

والفوز فرأت جماهير الاعدآء وقد احاطت بالمدينة احاطة السوار بالمعصم

فجمد الدم في عروقها وتحلب العرق البارد من حينها ولبثت جامدة كتمثال من رخام وقد صفا لون وجهها جزعاً فبدت معاني الغمّ والقلق في ملامحها فزادتها جمالاً بل جعلتها تفوق آلهة الجمال رقةً ودلالاً بحيث تجعل الناظر اليها لا يتمالك ان تذوب نفسهُ لوعةً وتأسفاً على تينك العينين السوداوين ان تغشاهما دموع الخوف والحزن. ثم امالت وجهها عن صفوف الاعدآءِ فزحزحت تلك الحركة افاعي شعرها التي كانت تزيد رمح قوامها طولاً فبدا من تحتها عنقٌ هو العاج لولا انهُ اكثر غضاضةً ولينا وقد خطّ الجمال على وجهها « سطرًا ملخصهُ سبحان من خلق » . فنظرت على مسافة قريبة من السور فرقةً من الجند قد انفردت عن المعسكر واقتربت من السور كأنها تتفقد ثغورهُ وتستطلع مداخلهُ وكان بينهم فارس يمتاز عن باقي اصحابهِ بحسن الطلعة وجمال التركيب ولطف الابتسام مع المهابة والجلال فحانت منهُ التفاتة نحو النضيرة فاشتبك النظران وتجردت سيوف اللحاظ فصادفت قلوباً معرّضة لمضاربها فما لبثت ان اسالت منها الدمآء فظهرت آثارها على الوجنات بما اخجل الورد وجعلهُ يتمنى لو يعود الى اكمامهِ . واحست الفتاة بالغلبة فاطرقت حياءً ثم نفرت نفور الظبي من امامهِ

وخلفتهُ صريعاً وهي قائلةٌ تأملوا كيف فعلُ الظبي بالاسدِ

* * *

ومن ذلك الحين لم يعد الفارس يفارق ذلك المكان بل كان يتردد اليهِ من وقت الى آخر طمعاً في مشاهدة تلك الفتاة الفتانة . ولما كان اليوم الثاني وقد دنا الوقت الذي ظهرت فيهِ بالامس كان يراقب النافذة من الموقف نفسهِ وقد امتطى اجود الخيل واحاط بهِ الحرس بما لم يبقِ مجالاً للريب في كونهِ الملك فلم يلبث ان رأى ستار النافذة يزاح عنها برشاقة ثم ظهرت ضالتهُ وكانت مرتدية اجمل اللباس ومتحلية بأبهى زينة وكان يظهر من حركاتها وسكناتها ومجمل هيئتها ان فيها عاطفة جديدة من الهيام تجهد في اخفآئها . ثم جعلت تنظر الى هنا وهناك كمن يبحث عن شيءٍ يعهدهُ في تلك الناحية فما لبثت ان رأتهُ وهو على تلك الحال من الشوق

والانتظار فخفق فؤادها وتورّدت وجنتاها غير ان ذلك لم يمنعها من مبادلتهِ الابتسام ثم ذهبت من حيث أتت بعد ان طال وقوفها عن الامس

وهكذا توالت الايام وتعددت المواجهات حتى لم يعد احدهما يطيق صبرًا عن مشاهدة الآخر

وكانت النضيرة اذا ابصرت حبيبها غابت عنها مظاهر العالم اجمع فلا ترى سوى انوار طلعتهِ بازغة على فؤادها الخالي فتملأهُ غبطةً وهناءً ولكنها حين تخلو بنفسها تتغلب عليها مفاعيل الحزن والاسف اذ تذكر ان من تحبهُ هو عدوّ ابيها وغريم مملكتها فترى نفسها في حيرةٍ بين الاخلاص لوالدها أو الخضوع لسلطان الهوى وعلى ذلك حلت الهواجس منها مكان دَعة النفس وخلو البال فأخلدت الى العزلة والتفكير ولم يكن لها من مؤنسٍ غير الدمع ولا من رفيق سوى الزفرات

و بينما كانت يومًا جالسةً في خدرها مسندةً رأسها الى ساعدها الجميل وعيناها شاخصتان وقد ارتسمت عليهما علائم الذهول والغم ورُصّع ورد خديها بلؤلؤتين من الدمع اشبه بندى الصباح وابدى الجوان ثغرها عن صفين من الدرّ النضيد يقضم بعضهما بعضًا كأنهما يودّان ان يفتديا رقة ذاتها بصلابة ذاتهما اذ دخلت احدى وصائفها واسمها هند وحين رأت سيدتها على تلك الحال وقفت مبهوتة لا تجسر على مخاطبتها ولبثت النضيرة هائمةً في اودية الافكار فلم تنتبه لدخول احد عليها . واخيرًا دنت وصيفتها منها وكلمتها بوقار يمازجهُ الحنان وقالت فدتكِ نفسي يا سيدتي ما لي اراكِ مغمومةً اليوم . فنظرت اليها بعين يكسرها الحزن ثم قالت بصوتٍ تكاد تخنقهُ العبرة اني شقية يا هند . فقالت اواه يا حبيبتي وانى للشقآء ان يعترض سبيل صفوكِ وهنآئكِ فاذا كان جزعكِ مسبباً عن حصار هذا الصعلوك ورجالهِ فلكِ من اقتدار والدكِ العظيم ومن حولهُ من اسود الرجال ما يكفل بردهم على اعقابهم بالخيبة والعار . قالت ليس هذا الذي يقلقني يا هند ولا انا في شيء مما تقولينهُ فدعيني وشأني فحزني لا تنفع فيهِ تسلياتكِ ودآئي ليس لهُ من دوآء

فأطرقت الخادمة الى الارض وجعلت تضرب في بيدآء الافكار وقد اخذها من

العجب كل مأخذ ثم رفعت بصرها وقالت لقد كسرتِ قلبي يا سيدتي بما سمعتهُ منكِ هذا اليوم فهل بلغ منكِ الغمّ واليأس هذا المبلغ وانتِ الفتاة التي تحسدكِ بنات عشيرتكِ على ما انتِ فيهِ من العز والمجد . فاستحلفكِ باسم والدكِ المحبوب ان تطلعيني على سبب ما يخامركِ من الكرب والاكتئاب فاما ان اسرّي عنكِ او اشاطركِ المصاب . وانتِ تعلمين صدق محبتي لكِ وحفاوتي بكِ وشدة اهتمامي بامركِ منذ كنتِ طفلةً حتى الآن أفلا استحق منكِ حسن الظن بي وائتماني على شيء من اسراركِ . قالت اجل يا هند اني لا ارتاب في صدق ولائكِ واهتمامكِ بامري فسأطلعكِ على ما انا فيهِ ولعلكِ ترينَ لي رأياً تكون فيهِ راحتي ان كان لمثلي ان يرجو راحةً اوعزآءً . فقالت بل بنفسي افديكِ وسأبذل حتى دمي فيما يخفف عنكِ فلتقل سيدتي . قالت ألم تنظري جيش العدو خارج المدينة . قالت بلى لقد نظرتهُ . قالت وهل رأيتِ الملك . قالت نعم لقدرأيتهُ ايضاً. قالت وكيف وجدتهِ . فقالت على جانبٍ عظيم من الجمال . قالت ذلك وتراجعت قليلاً الى الورآءِ وحدّقت في وجه سيدتها لتلتقط اول بادرةٍ منها . ففاضت دموع النضيرة والقت بنفسها على صدر خادمتها فطوقتها تلك بذراعيها واستولى السكوت ساعةً لم يسمع فيها سوى تنهدات النضيرة والقُبَل التي كانت هند ترسمها على وجنتي سيدتها من وقتٍ الى آخر واخيرًا قالت لها والبكآء يقطع صوتها اني اهوى هذا الملك الجميل ! ! !

* * *

ودام الحصار مدة اشهرٍ كثيرة لم يجد سابور فيها سبيلاً الى فتح المدينة اوحيلةً في دخولها فقل صبرهُ وكذلك النضيرة خانها الجلد وساورتها الهموم فذبل وردخدّيها وبدت عليها دلائل السقم واصبحت لا ترى لها راحةً ولا ساوةً الا بالموت . وانها لكذلك اذ اقبلت هند يوماً مشرقة الوجه وقالت لها ابشري يا سيدتي فقد هان العسير . قالت وماذا جدّ يا ترى . قالت ان الملك يهواكِ الى حدّ الوله ويبذل كل مرتخص وغال في سبيل الحصول عليكِ . قالت اني اعلم ذلك ولي الف شاهد عليه من منظرهِ وحركاتهِ وذلك مما يزيدني حبًّا وشجنًا . قالت وما الذي يحزنكِ بعد ان

تحققت ميلهُ وثبت لكِ انهُ يهواكِ كما تهوينهُ . قالت ولكن ذلك لا ينسيني انهُ عدونا وانهُ يستحيل التقرب بيني و بينهُ . قالت هو عدوّ ابيكِ ولكنهُ حبيبكِ . ثم هو لم يجنِ ذنباً يستحق لاجلهِ ان تتاركي اباكِ في معاداتهِ لهُ بل كان ابوكِ هو الجاني عليهِ البادئ بعداوتهِ لغير سببٍ ولا داعٍ فاذا كان سابور يقصد الانتقام منهُ فبحقٍّ يفعل . واعلمي بان لديهِ من العَدَد والعُدَد ما يضمن لهُ الفوز والغلبة على ابيكِ فان انتِ ساعدتهِ على فتح المدينة تغنمين المنزلة الاولى عندهُ وتكونين سبباً في فك الحصار وحقن الدمآء ثم تستطيعين بعد ذلك ان تشفعي لديهِ في حياة كثيرين من ذويكِ واحبآئكِ بما لكِ عندهُ من الدالة والكرامة وفوق ذلك كلهِ تكونين عندهُ ملكةً معظمةً بين قومهِ ويكون لكِ المقام الاول بين نسآئهِ

فتفرت النضيرة لدى سماعها حديث خادمتها وقالت لا لا ان الموت اهون لديَّ من خيانة ابي و بلادي ولكن ما ينالهُ سينالني فاقصري عن الحديث في هذا الشأن وليعلم سابور ان ابنة الضيزن لا تغترُّ بخداعهِ ومواعيدهِ فليبحث عن الظفر في غير هذا السبيل

فقالت اهذا جوابكِ لهُ . . اذن فانا ذاهبة لأبلغ رسولهُ كلامكِ ولكن تبصَّري قليلاً يا سيدتي في الامر واعلمي انكِ بذلك تفقدين الحبيب والوالد والبلاد جميعاً اذ لا بدَّ من الظفر لسابور يوماً وانتقامهِ من ابيكِ بعد حصارٍ طويل وقتلهِ شرَّ قتلة مع جميع المقرَّبين منهُ ولا يكون نصيبكِ منهُ عند ذلك سوى الذل والامتهان وذهابكِ سبيّةً عوض ان تكوني ملكةً مكرَّمة

قالت ويلاهُ اني لا اقوى على ذلك فانجديني يا هند برأيكِ الصائب واني افعل بما تشيرين . قالت ليس عليكِ سوى الموافقة والاذعان وعليَّ التدبير فانا احتال على حرّاس الحصن وافتح الطريق لسابور ورجالهِ فيدخلون المدينة بسلام دون ان تهرق قطرة من الدمآء . قالت لقد رضيتُ بذلك ولكن قبل الشروع في الامر اشترط على سابور ان انا سلمت اليهِ المدينة ان يجعلني الاولى بين زوجاتهِ واكون المالكة دون سائر نسآئهِ وان يجيب طلبي بالعفو عن حياة كل شخص اطلبها منهُ . قالت

سمعاً وطاعةً يا سيدتي فسأعود اليكِ غدًا بالجواب وليلهمكِ الله ما فيهِ خير ذويكِ وقرب حبيبكِ

ولم تغرب شمس ذلك النهـار حتى عادت هند تبشر سيدتها بقبول الملك لاقتراحاتها ومعاهدتهِ لها على انفاذ مطالبها . فسرت النضيرة عندئذٍ و باتت ليلتها يتنازعها عاملا السرور والجزع بين ما تبنيهِ لمستقبلها من دعائم الآمال وما تخشاهُ على أبيها و بلادها من الدمار والوبال

* * *

اما هند فانها ذهبت واعدّت آنية الشراب واطباق الفاكهة وانتظرت حتى اذا مضى جانبٌ من الليل اخذت معها بعض جواري القصر فحملنَ تلك الآنية والاطباق الى المقاتلة الذين كانوا يبيتون بأعلى السور والحراس الذين كانوا يدورون طول الليل على السور فوزعت عليهم الشراب والفاكهة وقالت هذا من عند مولاتي النضيرة بعثتنا بهِ اليكم جزآء سهركم ونصحكم لابيها الملك وهي توصيكم بادمان السهر وحراسة السور . فشكروا نعمة الاميرة واخذوا في تداول الكؤوس فلعبت الخمرة في رؤوسهم ودبّ دبيبها الى عيونهم فاذبلتها والى اجسادهم فصرعتها . ولما سكروا وناموا كلهم وكان قد تناصف الليل ولم يبقَ احد في المدينة مستيقظاً نزلت والجواري ففتحنَ باب السور وكان سابور وجنودهُ على الباب فدخلوا وانتشروا في المدينة انتشار الجراد فقتلوا من وجدوا في سبيلهم وسلبوا ما وصلت اليهِ ايديهم وكانت ساعةً يشيب لهولها الوليد ثم هجموا على الضيزن في قصرهِ فاخذوهُ اسيرًا في مئة رجلٍ من اشراف قومهِ

وكانت النضيرة تسمع صياح الشعب وولولة النسآء و بكآء الاطفال وفؤادها يقطر دمًا لما جلبتهُ عليهم بخيانتها من الشقآء حتى كاد يغمى عليها . واخيرًا اطلت من باب حجرتها فرأت حرس سابور يخفرها فعادت وجلست على متكإٍ وحاولت البكآء تخفيفاً للوعتها فلم تجد الى ذلك سبيلاً وكان كل شيءٍ من انواع التعزية قد هجرهـا حتى الدموع تخلفت عنها فلبثت كالتمثال لاتقوى على الحركة وقد اوشكت ان تجنّ

ويُقضى عليها اسًى وندمًا

وفي تلك الساعة دخلت هند واخبرت سيدتها ان سابور الملك آتٍ اليها ثم دخل سابور على اثرها فنهضت النضيرة لاستقباله وكانت كآلةٍ تتحرك ولا تعي لولا ان شعرت بخفقان شديد في قلبها فأطرقت ببصرها ولم تقوَ على النطق

فشكر الملك حسن صنيعها معهُ وكرر على سماعها ما وعدها بهِ سابقًا من ان تكون زوجتهُ ومليكة بلادهِ

فشكرتهُ وخرجا معًا يحيط بهما الحرس بعد أن القت النضيرة آخر نظرةٍ على ذلك المكان الذي ترعرعت فيهِ وذاقت من انواع المسرات والنعيم ما لم تحلم بهِ فتاةٌ قبلها . وما زال سائرًا بها حتى ادخلها فسطاطهُ وكان اذ ذاك قدانبلج وجه الصباح فلما استقرّ بهِ المقام امر بالاسرى فأدخلوا عليهِ وهو على سرير من ذهب والنضيرة الى جانبهِ . وكان اول من دُعي بهِ الضيزن فلما دخل عليهِ رأى بنتهُ الى جانبهِ فقال لها سلَّط الله عليكِ ما سلطتِ علينا ويلكِ هل كنت مقصرًا في تربيتكِ . ثم قال لسابور لا تغترَّ بها فكأني بها قد فعلت بك كما فعلت بي. اما النضيرة فسترت وجهها بيديها حتى لا ترى وجه ابيها وقد انصدع قلبها عند رؤيتهِ في تلك الحال . ولما أُخرج من بين يديهِ أرسل من ضرب عنقهُ ثم أمر بالذين أسروا معهُ فضُربت اعناقهم وبعد ذلك غنم سابور ما في المدينة ثم امر بتقويض سورها وتخريب الحصن وانصرف عائدًا الى مملكتهِ

اما النضيرة فلبثت بعد ذلك اياماً غائبةً عن الوجود لما تناوبها من اعراض الحمى ثم خفت عنها وطأة الاعراض وفتحت عينيها فرأت نفسها محمولة على هودج كبير كثير الزخرفة ومن حولها ثلاث نسآءٍ يعتنين بها . ولما وصلنَ الى مدينة عين التمر وهي المدينة التي كان الملك يقصدها وقف الهودج بهنَّ فأرسلت النسآء النقاب على وجوههنَّ وكذلك فعلنَ للنضيرة ثم رُفعت احدى ستائر الهودج وأُنزلت النضيرة فدخلت المدينة وهي مسندةٌ باكف النسآءِ وامامهنَّ وحولهنَّ الجيوش العديدة وكانت المدينة مزينة بابهى زينة وقد خرج كل من كان فيها من الناس لاستقبال

ملكهم المنتصر وسار الملك بينهم باسماً وهو يحييهم فكانوا يقابلون تحيتهُ بالهتاف والدعآء وقد طفحت وجوههم بالمسرات والهنآءِ . وما زالوا كذلك الى ان انتهى الملك الى قصرهِ فتربع في سرير مملكتهِ واذن لرجالهِ في الدخول عليهِ فجعلوا يتوافدون افواجاً مهنئين ومسلمين

اما النضيرة فلبثت مدةً اليفة السقام والاحزان تندب اهلها و بلادها وتستغفر ربها عما جرَّتهُ عليهم من البلآء وما ارتكبتهُ فيهم من الاثم الفظيع وما برحت تتمثل لديها آخر نظرةٍ من والدها وهو يعنفها على غدرها وخيانتها وقد زوّدها تلك الدعوة الرهيبة ثم تتمثل لها حالتهُ تحت يد الجلاّد وتدفق دمهِ على الارض وكأن كل قطرةٍ منهُ ترشها باللعنات فيغور قلبها حزناً وندماً وتسترسل الى البكآءِ والنحيب حتى تسقط خائرة القوى فاقدة الرشد فلا تصحو الا وتشعر بوخز الضمير الذي كان ينهش قلبها و يستنزف دمعها

ولبثت على تلك الحال من الحزن والغم مدة تزيد عن الشهر وهي لا تقبل عزآء ولا ترغب في تسلية . غير ان الملك ما فتئ يلاطفها و يبذل جهدهُ في مؤانستها وتفريج كربتها الى ان خف ما بها من لوعة وحزن ومالت الى العزآء والسلوان وقد آنست من الملك حنوًّا وتوددًا انسياها مامرّ بها من الاحزان . فافترَّ ثغرها وعاد الى محياها زهوهُ واشراقهُ فانجلت عنهُ ظلمات العبوس و بدا مكانها لطف الابتسام واخذت النضيرة منذ ذلك الحين تناجي نفسها بلذة الاوهام وتمني ذاتها بجميل الاحلام

وفي تلك المدة كان الملك قداستراح من وعثآءِ السفر وعاد الى سابق اعمالهِ فنظم مملكتهُ ورتب شؤون رعيتهِ ورفع مراتب المستحقين من رجالهِ واجزل الهبات لسراة قومهِ ولما راقت الاحوال واستتبت الاعمال عين يوماً لاقترانهِ بالنضيرة

وما شاع الخبر حتى تسابق اهل القصر لاقامة الزين الباهرة والحفلات الشائقة وشارك اهل المدينة ملكهم في ارتشاف كؤوس الهنآء بضعة ايام ثم عُقد للملك على النضيرة في حفلة حافلة باشراف المدينة وكبارها

واتفق بعد ذلك ان النضيرة أرِقت في احدى الليالي فباتت تتقلب على فراشها

وهي لا تذوق غمضاً فقال لها الملك ما لي اراكِ قلقةً لا تامين . قالت ان جنبي يتجافى عن فراشك . قال ولمَ فوالله ما نامت الملوك على ألين منهُ وأوطأ وان حشوهُ لزغب النعام . ثم التمس ما يؤذيها فاذا طاقة آس قد سقطت داخل ثوبها من الازهار التي كانت تزين بها شعرها فتناولها واذا هي قد أدمت جسدها فدهش الملك لما رأى من اين جسدها و بضاضة جلدها وقال لها ويحكِ ما كان فراشكِ عندابيكِ . قالت كان مثل هذا من الحرير الناعم وكان لباسي في الشتآء الخز والوشي المنسوج بالذهب وفي الصيف الكتان المفصص بالجوهر . قال وما كان يطعمكِ ابوك . قالت المخ بالسكر الطبرزذ ولحوم الدرّاج والشفانين والصلاصل وكان شرابي مآء الرمان الاملسي. فلما سمع سابور ذلك خافها على نفسهِ وقال هذه لم تنصح لابيها مع احسانهِ هذا اليها وحسن تربيتهِ لها و بلوغهِ من برّها ما وصفت فكيف آمنها ان تفعل بي ما فعلت بابيها ان جفوتها يوماً و بات تلك الليلة وقد عقد عزمهُ على قتلها

ولما كان الصباح دعا سابور رائضاً من روّاضهِ وامرهُ ان يختار اقوى فرسٍ لهُ وان يشدّ ذؤابتها بذنب الفرس ثم يطردهُ وهي معلقة بهِ حتى تنقطع . فلما علمت ما يُفعل بها قالت لعمري لقد استجاب الله دعوة ابي فيّ واني لمستحقة هذا لما كان مني الى ابي العظيم حقهُ عليَّ وهذا جزآء غدري بهِ وخيانتي لهُ

ولم يلبث الامر ان شاع في المدينة فاجتمع الى ساحتها خلقٌ لا يحصى ليظروا ذلك المشهد وهم بين آسفٍ لحالها وشامتٍ بما نالها وجلس الملك على شرفة قصرهِ مطلاً على تلك الساحة ولم يمضِ الا قليلٌ حتى جيئ بالنضيرة موثقة اليدين والى جانبيها اثنان من الجند . وكانت تسير بينهما بخطواتٍ ثابتة دون ان يبدو عليها اقل ارتعاش او جزع بل كانت جملة هيئتها تدل على ان بها ظمأً الى تجرُّع تلك الكأس ورغبةً في التخلص من العذاب الداخلي وما كانت تقاسيهِ من آلام توبيخ الضمير منذ استسلمت لهواها وجرّت على بلادها تلك الويلات ولاسيما في تلك الساعة التي تعاظم فيها يأسها اذ رأت ان الذي جُنّت في حبهِ واقترفت ذلك الاثم العظيم في سبيل ارضآئهِ بل الذي رضيت ان تفقد كل شيءٍ لاجل الحصول عليهِ هو الذي يسلمها

الى الموت فلم يبقَ لها بعد ذلك ما ترجوهُ من الحياة بل وجدت انهُ لا راحة لها الا بالموت ولا مكان تخفي فيهِ وجهها الاّ القبر

ولما توسط بها الجنديان تلك الساحة الرهيبة اخذا يحلان شعرها الناعم بايديهما التي خشنها سفك الدمآء فلم تشعر بتنعّومتهِ ولم تتأثر للطفهِ واقبل الرائض بفرسهِ وهو يثب ويرفس ويضرب الارض بحوافرهِ فوقف الى جانبها ينتظر امر الملك

وحصل في تلك الفترة سكوت عميق وكانت العيون جميعها محدقة في النضيرة . اما هي فضمت اصابع يديها الموثقتين ورفعت بصرها الى السمآء وتحركت شفتاها بصلاةٍ حارة وكأن تلك الصلاة القصيرة التي لفظتها المسكينة كانت رسول التعزية الى قلبها الجريح اذ لم تلبث ان ابتسمت ابتسامة ملكية وطفح وجهها بشرًا كانما هي ترى اباها من اعالي السمآء ينظر اليها باشفاق مكتفياً بما نالها من العقاب صافحًا عما جنتهُ من الاثم

وكان قلب الملك قد استحال حينئذٍ الى اقسى من الحديد فلم تجد الشفقة اليهِ سبيلاً ولا امكن ذلك الجمال الذي بدا حينئذٍ على ابدع ما يتصورهُ عقل والطف ما يجري في وصفهِ قلم ان يشفع لديهِ في تلك المُحبة المسكينة أو يخفف لها ذنبًا هو حملها عليهِ بخداعهِ وجرّها اليهِ بتملقهِ وحسن وعودهِ فكأنما الديان قد اعماهُ وشآء ان يجري العدل في مجراهُ فأنطقهُ بكلمة الحكم الاخيرة وفي اسرع من لمح البصر تناول الرائض شعرها الطويل وربطهُ الى ذنب الفرس . وحينئذٍ اضطربت النضيرة وظهر عليها ارتعاشٌ ذهب بابتسامها واصبح لونها كالاموات ففتحت عينيها وارسلت الى الملك نظرة كان تأثيرها في فؤادهِ اشد من وقع السهام . وللحال خلي سبيل الفرس

اما الملك فشعر ان قلبهُ قد سحق بتلك النظرة وندم على فظاعتهِ وغلاظة كبدهِ فاسرع ورفع يديهِ مشيرًا الى الرائض أن يتوقف ولكن كان قد سبق السيف العذل واصبح ذلك الهيكل البديع التكوين قطعًا منثورةً على الحضيض

وصاب سابور بعد ذلك حزنٌ شديد وندم على ما كان منهُ ولكن بعد الفوات وبلي بغمٍّ مفرط لم يزل مصاحبًا لهُ الى الممات . انتهى